تلخيص الدرس الثالث لمادة التفسير

✸ تفسير سورة عبس.

سورة عبس سورة مكيَّة، وذلك يتضح لنا من خلال أسلوبها، وقصر آياتها، ويتضح لنا ذلك أيضًا من خلال قصتها وسبب نزولها.

✸ مقدمة هذه السورة لها سبب نزول:

➢ سبب نزول مقدمة هذه السورة وهو: أن عبد الله بن أم مكتوم كان ممن أسلم قديمًا، فجاء إلى النبي ﷺ يريد أن يتزكى، ويريد أن يتعلم دينه،وجاء مقبلًا وهو أعمى ، فالنبي ﷺ كان مشغولًا بدعوة آخرين من كفار مكة، سواء أكان واحدا أو ثلاثا.

➢ وفي تلك اللحظة التي كان فيها النبي ﷺ يدعو هؤلاء وهم معرضون عنه، وكان ﷺ يتمنى لو أن ابن أم مكتوم لم يأتِ في هذا الوقت لأنه ﷺ لا يمكن أن يحقر أحدًا من المؤمنين، أو يتأخر عن إجابة طلبه، ولكن الموازنة كانت عند رسول الله ﷺ في تلك اللحظة تقتضي بمتقضى ماعنده من الحكمة أن يقدِّم شأن هؤلاء الذي يرجو بدخولهم إلى الإسلام نفع الإسلام، وعز المسلمين.

➢ ولكن الله عاتبه وقال: يا محمد أن تُقبل على من أعرض عنك، وتدع من أقبل إليك ، وهذا الذي يجب علينا أن نفهمه من هذه القصة، وهي أن الإنسان ما يذهب إلى من يعرض عنه في الوقت الذي يترك فيه من يُقبل عليه ، فالذي يُقبل هو الأحق،ولما عاتبه-سبحانه وتعالى- ربَّانا وبين لنا ما هو مقام محمد ﷺ عنده، فلمَّا عبر بالعبارات التي قد يستوحش منها قبل رسول الله ﷺ عبَّر بعبارت لطيفة على قلبه، وخفيفة على نفسه. فقال﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى...﴾

✸ تفسير الآيات

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ :

الحديث هنا مع رسول الله

عَبَسَ: أي قطَّب وجهه.

وَتَوَلَّى: أي أعرض عن هذا الذي جاءه يريد أن يسترشده ويسأله.

ففي هذه الآية تَلطُفٌ من الرب -سبحانه وتعالى- مع الرسول ﷺ يربينا فيه ربُنا على مكانة رسول الله عنده، وأن له منزلة عالية، والله -عز وجل- يبين لنا عظم هذه المنزلة التي لرسول الله فيقول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ لو قال له: "عبست وتوليت" ما ضرَّ ذلك ربنا -سبحانه وتعالى- ولكن الله أراد أن يبين لنا كيف يكون الأدب مع الكبار، مع ذوي الشرف والمنزلة، مع ذوي المكانة، مع ذوي الفضل على أهل الإيمان، والفضل على الخلق.

وعبَّر بضمير الغائب ولم عبر بضمير المخاطب: "عبست وتوليت" ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يرد أن يوحش صدره بالخطاب، لأن الخطاب له هجوم على النفس، وأثر ثقيل عليها.

فلما ذهبت هذه الوحشة بدأ بالخطاب، فقال:

﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾:

أي بسبب أن جاءه الأعمى.

لما أقبل ابن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ كره النبي ﷺ مجيئه، ولما جاء يسأل أو يريد من النبي ﷺ أن يرشده إلى ما أراده أعرض عنه وانشغل بهؤلاء من صناديد قريش، فعاتبه الله -عز وجل.

➢ لماذا عبَّر عن هذا الصحابي بالأعمى؟ أليس في هذا تعييرًا له؟

عبر الله سبحانه وتعالى وكلمة الأعمى لأسباب، منها:

أولًا: ليبيِّن عذر هذا الرجل الذي جاء إلى رسول الله، لأن الذي جاءه كان أعمى،وهو لا يدر أنت مشغول أو غير مشغول، وهو صاحب حاجة، فكان ينبغي لك أن تقضي حاجته وأن تعذره لأنه لم يطلع على ما أنت مشغول به.

ثانيًا: ليرقق قلب رسول الله ﷺ عليه وعلى نظرائه.

- هذه الآية ممكن أن نجعلها حجة في التلطف مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وإعطائهم من الرفق واللين والرحمة أكثر مما يُعطى غيرهم بسبب ما هم فيه من البلاء، فصاحب البلاء يُرحم أكثر من صاحب العافية.
- إذن: فبقوله تعالى﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ ليس فيه تعييرًا ، ما دام يُراد بهذا الوصف معنى لطيف وجيد، ولا يراد به العيب والتعيير.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾:

بعد أن عاتب الله -عز وجل- رسوله بأسلوب الغيبة جاء في هذه الآية إلى أسلوب الخطاب:

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى : أي شيء يدرك لعل هذا الأعمى الذي جاءك يتزكى.وقوله ﴿يزكى﴾ أدغمت التاء في الزاي وأصلها: يتزكى.

في هاتين الآيتين ذكر شيئين: (يزكى ، يذكر).

قال العلماء: إن هذا من باب تقديم التخلية على التحلية، فإما أن يتطهر من ذنوبه ﴿يَزَّكَّى﴾، وإما أن ينتفع بشيء مما جئت به من الوحي والخير والعلم النافع.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾:

اما هذا المستغني الذي لا يرغب في سماع ما عندك يا محمد، وليس عنده الرغبة في أن يؤمن، ولا أن يتلقى؛ بل إنه راغب في فراقك، فما الذي يحملك على أن تتصدى له؟!.

تَصَدَّى: أصله تتصدى، حذفت التاء الأولى تخفيفًا.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾:

هذه الآية معناها يختلف باختلاف كلمة "ما"

1. يمكن أن تكون "ما" نافية: أي: ليس عليك شيء في ألا يتزكى.
2. يمكن أن تكون "ما" استفهامية: أي شيء عليك إذا لم يتزكى ، ولكن المعنى في النهاية واحد

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾ :

الذي جاء يسعى هو عبد الله بن أم مكتوم.

وصفه بقوله: ﴿جَاءَكَ﴾، يعني جاء بنفسه طالبًا للهدى، فالحق أن يُقبل على مَن أقبل، وألا يؤبه بمَن أعرض وهم أولئك اللذين جئت إليهم، وذهبت إليهم، وتصديت لهم.

يَسْعَى: هذا المجيء مجيء بإقبال ورغبة، ليس ابن أم مكتوم كان يمشي ثم سمع صوت النبي ﷺ قال: تذكرت، فيه سؤال يا رسول الله؛ لا،فهو جاء قاصدًا.ولأن السعي هنا لا ينبغي حمله على سعي البدن، بمعنى الركض ، لأن ابن أم مكتوم أعمى.

جَاءَكَ يَسْعَى: أي جاء مهتمًا حريصًا مقبلًا.

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾:

﴿يخشي﴾ هي الصفة الثالثة فقد قال﴿جاء﴾، و﴿يسعى﴾.

فهو عنده خشية وهي التي حملته على أن يسأل، وليس مجرد استعلام أو تزود من العلم فقط.

➢ ما الفرق بين الخشية والخوف؟

الخشية: هي خوف بعلم. ولذلك جاء في الآية:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: 28].

الخوف: يعني أن تخاف من شيء عامةً أن تسمع صوت مفزع تخاف

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ :

فابن أم مكتوم جاء يسعى، وهو يخشى، ومع ذلك تلهيت عنه.

وسمى إعراض النبي عنه تلهيًا، لأنك تركت ما يليق بك مع من أقبل عليك، وذهبت إلى من أعرض عنك، وليس مستمعًا لك، ولا منتفعًا بما عندك.

تَلَهَّى: أصله: تتلهى، لكن حذفت التاء تخفيفًا.

فائدة:

يمكن أن نأخذ من هذه الآيات درسا في تقديمنا للدعوة ، وبذلنا للعلم وللدين؛ ما ننظر إلى قضية مراتب الناس ، هذا فلان ابن أمير، أم ابن غني، بل من أقبل على العلم، أقبل على الدعوة، يجب علينا أن نقدم له هذه الدعوة، وأن نمد له يد العون والمساعدة، وأن نهديه سبيل الرشاد، وألا ننظر إلى أصله أو فصله، أو نسبه، أو غناه، أو حاله، أو جاهه، أو سمعته، أو أي شيء من هذه الموازين الأرضية.

﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾ :

كلا : تأتي بمعنيين:

الأول: إما أن تكون بمعنى الردع والزجر أو النفي إذا كان قبلها كلام ينفى، أو كلام يُرد على صاحبه

وقد يعبر عنها بعض العلماء كابن جرير الطبري: "ليس الأمر كذلك" كتعبير أخف من كلمة الردع والزجر.

الثاني: وإما أن تكون بمعنى: حقًّا. إذا لم يسبقها كلام يُردُّ عليه

ففي هذه الآية تتحتمل المعنين إما أرد هذا الأمر، يعني ليس الأمر كما فعلت.وتتحمل أن تكون بمعنى" حقًّا إنها تذكرة".

إِنَّهَا: الضمير يعود على القصة، هذه القصة التي هي تذكرة وعظة لك يا محمد ولأمتك من بعدك.

فَمَن شَاء ذَكَرَهُ : الضمير في "ذكره " إما أن يكون عائدا على "الله"، وإما أن يكون عائد على القرآن الذي منه تلك القصة، أو منه تلك الآيات.

الأولى أن يعود على القرآن لأن الحديث بعد هذه الآية هو عن القرآن.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾:

والذي في صحف مكرمة هو الذي جاء في قوله ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾ أي هذا موضوع في صحف مكرمة قد أعلى الله شأنها وكرَّمها.

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾:

مرفوعة : أي قد رفعت رفعًا حسيًّا، ورفعًا معنويًّا.

ولذلك يستفيد العلماء من هذا أن كتاب الله ينبغي أن يكون دائمًا مرفوعًا ، يوضع في الرفِّ الأرفع تقديرًا له وتعظيمًا، كما أنه في اللوح المحفوظ مرفوع فوق كل كلام، وكل شيء موجود في ذلك اللوح.

مُّطَهَّرَةٍ: أي لا يصيبها شيء من الدنس، ولا يصيبها شيء من الزيادة أو النقص أو التحريف أو التبديل أو التغيير.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾

هنا ذكر مَن هم الذي يلون هذه الصحف المكرمة، وهم السفرة .

قول جمهور المفسرين: السفرة هم الملائكة.

لأن هذا الوصف قد جاء بهذه الصورة للملائكة في الحديث النبوي، قال: ﴿الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران﴾

قال بعض العلماء: إن السفرة هم أصحاب رسول الله، أو كتَّاب الوحي.

الظاهر: هو الأول، لمجيء هذا الحديث الذي يدل على ذلك، وأيضًا لأن المؤمنين إذا وصفوا في القرآن لا يوصفون بقوله﴿بَرَرَةٍ﴾، وإنما يوصفون بالأبرار. أما "البررة" فهي خاصة بالملائكة.

سَفَرَةٍ : سمي الملائكة سفرة لأنهم يقومون بالسفارة بين الله وبين خلقه

كِرَامٍ: وصفوا بانهم كرام لأن الكريم في لغة العرب هو الشريف في جنسه، أي شيء شريف في جنسه يسمى كريمًا، حتى الأحجار منها كريمة وغير كريمة، فالملائكة لكرمهم، وعظم منزلتهم، ونفاستهم في مخلوقات ربهم -سبحانه وتعالى-

بَرَرَةٍ: أي كثير البر والإحسان وفعل الخير ، والبر مأخوذ من السعة، ولذلك يُقال لغير المدن: بر. للأنها متسعة ، وكذلك من يُكثر من فعل الخير يقال له: برٌّ، ويقال لهم: أبرار، لأنهم يتوسعون في فعل الخير.

﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾:

ذكر هنا أمرا وهو كيف أن الإنسان يجحد هذا الخير، ويكفر به من دون حجة ولا برهان.

قُتِلَ: العلماء يقولون: ﴿قُتِلَ﴾ دعاء عليه بالقتل، وهي بمعنى: لُعِن عند كثير من المفسرين.

الإِنسَانُ: لا يمكن أن يحمل هنا على جنس الناس، وإنما يُراد به الكافر.

ونستدل على ذلك بان هذه الآيات آيات مكيَّة، وغالب ما يرد من وصف﴿الإِنسَانُ﴾ في الآيات المكيَّة إنما يراد به الكافر، وليس هذا شيئًا لازمًا، ولكنه يختلف باختلاف السياق.

مَا أَكْفَرَهُ: ما أشد كفره؟!

"ما" هنا إما أن تكون استفهامية: " قتل الإنسان أي شيء أكفره"وقد قامت عليه الحجج، وأقام الله -عز وجل- له البينات.

وإما أن تكون "ما" هنا تعجبية: يعني: عجبًا له، كيف يكفر؟! والتعجب هنا أليق بالسياق.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾:

يبين الله حقيقة هذا الإنسان الذي كفر، وأنه ضعيف، وأن إمكاناته محدودة، وأنه محتاج إلى الله، ومع ذلك يكفر ويستعلي ويكذب بالله وبرسله، ويرد آيات الله -سبحانه وتعالى.

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ: ما هي مكونات هذا المخلوق الذي استعلى واستكبر وتجبر وبطر؟

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾:

مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ: النطفة هي الماء القليل، وهو هذا الماء الذي خلق منه الإنسان، وهو ماء قذر، خُلق الإنسان منه، فما الذي جعله يتكبر؟!

فَقَدَّرَهُ: جاء هنا بالفاء ليدل على أن النطفة من حين ما تقع في الرحم تبدأ عملية التقدير، والفاء هنا للدلالة على الترتيب والتعقيب.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾:

جاء بـ "ثم" لأن بين التقدير وبين الخروج من بطن الأم فترة زمنية تستحق "ثم" الدالة على التراخي

السبيل: اسم لأكثر من معنى، يمكن أن يكون طريق الخير والشر، ويمكن أن يكون طريق الخروج، ويمكن أن يكون الطريق العادي.

لأجل ذلك اختلف العلماء في قوله ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ هل معناها:

- يسر له طريق الخير والشر فالإنسان يرى من نفسه الآن طريق الخير والشر أمامه مفتوحان و يفعل ما يشاء.
- يسر له طريق خروجه من بطن أمه .

الراجح من أقوال المفسرين أن الله –عز وجل– يسر طريق خروجه من بطن أمه لأنه ذكر قبل ذلك النطفة.

ولا مانع من أن تحتمل الآية على المعنيين، كلا القولين مقبول، ولذلك نجد الشوكاني –رحمه الله– في تفسيره يعبر دائمًا بعبارة "والأول أولى".

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾:

أي طريق خروجه من بطن أمه يسره.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾:

عبر ب "ثم" لأن بين خروجه من بطن أمه وموته في العادة وقت طويل

أَمَاتَهُ: أي قدر عليه الموت.

فَأَقْبَرَهُ: عبر بعد الموت بالفاء، ليبين أن الإقبار يكون بعد الموت مباشرة، ولهذا ممكن ناخذ من هذه الآية حكم شرعي وهو استحباب الإسراع بدفن الميت وتجهيزه بعد موته.

أقبره: ليس معناها قَبَرَه، لأن الله لا يقبر الناس، وإنما أقبره: هيأ له مكانًا يُقبر فيه.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾:

لما كان ما بين القبر والنشر وقت طويل لا يعلمه إلا الله –سبحانه وتعالى– جاء بـ " ثُمَّ ".

﴿كَلاَّ لَّمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾:

كلا : ردع لهذا الإنسان الكافر.

لَّمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ: يعني لم يفعل ما أمر به.

قال مجاهد: "ما من أحد يمكن أن يفعل كل ما أُمرَ به؛ بل لابد أن يُقصِّر الإنسان وهذا من طبع الإنسان ،كل ابن آدم خطَّاء،وخير الخطَّائين التوابون"

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾:

بعدما انتهى من ذكر كفر الإنسان بالرسالة التي أوحيت إليه وأنزلت عليه، انتقل إلى ذكر دلائل القدرة، وأيضًا دلائل النعمة، نعمة الله على عبده التي تدعوه إلى أن يدع هذا الكفر ،وأيضًا دلائل القدرة التي تدل الإنسان على أن الله قادر على الشيء الذي ينكره الإنسان، وهو البعث بعد الموت.

فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ: يعني لينظر كل واحد منكم أيها الناس إلى هذا الطعام الذي بين يديه، ما هو دورك في هذا الطعام ؟ هل أنت صنعته وكوَّنته؟ هل أنت أخرجته وفعلت به هذه الصفة التي هو عليها؟ وضعت فيه هذا الطعم الذي هو فيه؟ لا والله، إنما أنت فعلت شيئًا أمرك الله به، وليس هو في الحقيقة هو المؤثر؛ بل التأثير كله من قبَل الله.

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا﴾:

يعني نحن أنزلنا الماء مصبوبًا من السماء.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾:

شققنا الأرض بالنبات، تكون البذرة داخل جوف الأرض، ثم ما تزال بضعفها تقاوم حتى تخرج على ظهر الأرض.

﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾:

بدأ بالحب في سورة عمَّ لشدة حاجة الناس للحَبِّ قبل النبات وكذلك هنا ،لأن به أقواتهم، يعني تستطيع أن تستغني الخضروات والفواكه ؛ لكن يشق عليك أن تستغني عن الحبوب وهي القمح والأرز والذرة ....

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾:

ثنى بالعنب لأنه من أحسن الفواكه وأعظمها أثرًا على صحة الإنسان، وأكثرها لذة، وسهولة في جنيه وفي أكله.

فالله –عز وجل– يبين لك كيف أن الله يسر لك هذه النعمة، وهيَّأ لك هذا الطعام، فما الذي يدعوك إلى الكفر؟ ما الذي يجعلك تستكبر وتستعلي؟

وَقَضْبًا: العلماء يقولون: القضب هو ما يُقضَب يعني يُقطَع، فكل النباتات التي تُقطَع ثم تعود تسمى قضب.منه مثلًا: الخس، والكراث.

ومن ذلك الحديث الذي يقول ﴿كان النبي ﷺ لا يرى شيئًا فيه تصليب إلى قضبه﴾ ، قضبه يعني قطعه.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾:

الزيتون معروف، سواء الزيتون في حَبِّه، أو الزيتون فيما يُعصَر منه ويخرج من زيت.

نَخْلًا: هذه النخلة المعروفة التي فيها هذه الثمرة العجيبة، التي تجمع بين خمسة أشياء: فهي حلوى، وغذاء، وقوت، وفاكهة، ودواء. وهذا قلَّ أن يجتمع في شيء من النبات، ولذلك قال النبي ﷺ وهو يتحدث عن أثر هذه التمرة يقول: ﴿بيت ليس فيه تمر أهله جياع﴾، لأن التمرة تغني عن كثير من حاجات الإنسان، أو عن كل حاجات الإنسان إلا ما ندر.

﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾:

الحدائق: جمع حديقة، والحديقة عند العرب هي ما يحدق بالشيء، يعني يطيف به ويحوِّط عليه .

غُلْبًا: أي وأشجار غلب.

يقول العلماء: الغلب: هي ذات الجذوع العريضة، والأفنان الملتفة، يعني الأشجار العظيمة.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾:

فاكهة: هذا يدخل فيه جميع ما يتفكَّه به الإنسان، برتقال، والموز، والتفاح، وغيرها.

وَأَبًّا: الأبُّ هو ما تنبته الأرض من الكلأ مما ترعاه البهائم.

وقد ورد عن عمر –رضي الله عنه– أنه قال: "قد عرفنا الفاكهة فما الأب"، ثم قال: "إن هذا لهو التكلُّف يا عمر".وثبت هذا عنه بإسناد صحيح.

قال العلماء: هذا يحمل على أن عمر أراد أن يعرف أي نوع من الأب، وإلا معنى الأب معروف عند العرب.

فقال: "إن هذا لهو التكلُّف" يعني يكفيك أن تفهم المعنى العام يا عمر دون أن تعرف شيئًا معيّنًا من هذا الكلأ.

أما ما رُوِيَ عن أبي بكر أنه لما سئل عن الأب، قال: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"، فهذا إسناده ضعيف .

- بعد أن بيَّن هذه الدلائل انتقل إلى ذكر يوم القيامة الذي سيقت هذه الدلائل من أجل بيان أن ذلك اليوم هو حاصل ولا مشقة فيه على الله – سبحانه وتعالى– الذي خلق كل شيء، وبيده كل شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾:

الصاخة: من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تصخ آذان وتصمُّها من شدة صريرها وقوَّة صوتها.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾:

في ذلك اليوم الذي يُسمع فيه صوت القيامة بشدة ، ومن شدة الهول يفر الإنسان من كل أحد حتى من أقرب الناس إليه.إذن فرارك من غيرهم من باب أولى.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾:

أي كل واحد منهم مشغول بنفسه قد اغتنى بما عنده من الحال، فهو مذهول.

ولذلك لما ذكر النبي ﷺ أن أهل القيامة ياتون حفاة عراة غرلًا، قالت عائشة وهي تتخوف على عورتها، لأنها امرأة عفيفة طاهرة، قالت: ﴿يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض! قال: يا عائشة الأمر أعظم من ذلك﴾. يعني كل واحد مشغول بنفسه

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضاحكة مستبشرة ﴾:

ذكرالله سبحانه وتعالى من حال المؤمنين وحال الكافرين إلا الوجوه ،لأن أول السورة كانت عن الوجه، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ، فناسب أن يذكر من أحوال الناس في يوم القيامة هذا الوجه الذي يعبر عن سرور الإنسان وفرحه ونعمته وابتهاجه ونضرته، وعن بؤسه وعذابه وألمه.

مُّسْفِرَةٌ: أي مضيئة ضاحكة، لأنه مقبلة على خير.

مستبشرة: يعني قد استبشرت بما بشرت به من فضل الله ونعمته.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾:

قد علتها هذه الغبرة التي أظلمت وجوهها.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾:

أي ظلمة وكلوح.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ :

أي هؤلاء أصحاب هذه الوجوه كفرة فجرة.

الفرق بين الوصفين: أن الكفر قلبي، والفجور عملي ، فجمع لهم بين الوصفين